

بسم الله الرحمن الرحيم

فوائد من سورة يوسف عليه السلام

«القسم الأول»

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:
فهذه فوائد ظهرت لي من خلال قراءة سورة يوسف كنت ألقيا شفوياً في بعض المجالس، فرأيتُ أنّ كتابتها ونشرها أنفع لي ولغيري.

فربّ خطأ وقعت فيه فأستفيد تصويماً، ولن أُحرم - إن شاء الله تعالى - من دعاء من صوّب وقرأ وسمع.

وسأستمرّ في تقييد ما يفتح الله عليّ إلى آخر السورة.

﴿الرَّيْلَكَ أَيَنْتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ١﴾

فيه: أنّ القرآن واضح لا غموض فيه.

وفيه: أنّ «الكتاب» من أسماء القرآن.

وفيه: الإشارة إلى علوّ ورفعة هذا القرآن.

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٢)

« إِنَّا »:

فيه: أنَّ من أساليب العرب إيراد خطاب الجمع للواحد، وهذا من باب عظمة المخاطب، والله تعالى أعظم العظماء.

« أَنْزَلْنَاهُ »:

فيه: دليل من أدلة كثيرة على أنَّ القرآن مُنزل.

« قُرْآنًا عَرَبِيًّا »:

فيه: عظيم حكمة الله تعالى في إرسال الرُّسل بلسان أقوامهم: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ [إبراهيم: ٤].

وفيه: عظيم رحمة الله تعالى ولطفه، حيث جعل القرآن مفهوماً واضحاً لا غامضاً.

«لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ»:

فيه: أن بلوغ الحجّة بفهمها لا بمجرد سماعها، وفي المسألة تفصيل.

وفيه: أن فهم الحجّة قد ينفع من خوطبوا وقد لا ينفع. ومما يوضح ذلك آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ (١٠) وَيَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿[الأعلى: ١٠-١١].

وفيه: عظيم الأثر على من عقل المراد من الآيات. قال بعض السلف: كلما قرأت مثلاً في القرآن ولم أعقله بكيت على نفسي؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وفيه: مدح أهل العلم والعقل ببصيرة.

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ

كُنْتُ مِنْ قَبْلِهِ لِمَنِ الْغَفْلِينَ ﴿٢﴾ ﴿٢﴾

« نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ »:

فيه: تضمين العلم في القصص.

وفيه: أن القصص فيها الحسن والسيئ.

وفيه: أن قصص القرآن أحسن القصص^(١).

(١) لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ كَلَامٌ نَفِيسٌ بَيَّنَ فِيهِ خَطَأَ مَنْ ظَنَّ أَنَّ
قِصَّةَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هِيَ أَحْسَنُ الْقَصَصِ، وَبَيَّنَ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهَا دَاخِلَةٌ فِي
أَحْسَنِ الْقَصَصِ الَّذِي هُوَ قِصَصُ الْقُرْآنِ، وَأَنَّ قِصَّةَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
هِيَ أَحْسَنُ قِصَّةٍ فِي مَوْضُوعِهَا، كَمَا أَنَّ قِصَّةَ ذِي الْقَرْنَيْنِ أَحْسَنُ

=

قِصَصِ الْمُلُوكِ، ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ قِصَّةَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَحْسَنُ مِنْ قِصَّةِ يُوسُفَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهَا كَثِيرًا، فَهِيَ أَعْظَمُ قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ
عَلَيْهِمُ السَّلَامُ... إِلَى آخِرِ كَلَامِهِ الَّذِي مَلَأَهُ دُرَرًا وَنَفَائِسَ.

=

«بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنَّ
الْغَافِلِينَ»:

فيه: أن القرآن من عند الله، وهو قد تكلم به حقيقة.

وفيه: أن أخبار المغيَّبات تؤخذ من الوحي.

وفيه: ضلال وكذب أولئك الزاعمين أنهم يعلمون
المغيَّبات، من سحرة وكهنة وعرَّافين وقرَّاء الكفِّ والفناجيل.

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ ﴿٤﴾

ولعلَّ أحد القراء ينزله كاملاً في هذا الموقع. انظره في كتاب: «جواب
أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول ربِّ الرحمن من أنَّ
﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن». من (ص ١٢) إلى
(ص ٢٥).

«يَكَا بَتِ»:

فيه: أَنَّ الأنبياءَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَبْرُ الناسِ بوالديهم، ومن البرِّ التلطف في النداء.

«إِنِّي رَأَيْتُ»:

فيه: فطنة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ في اهتمامه بشأن تلك الرؤيا.
وفيه: أهمية الرؤى وتأثيرها في حال الناس.
وفيه: صدق يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ في قصِّه للرؤيا بلا تزويد.
وفيه: طلب المشورة وعرض ما قد يشكل على أهل العقل والعلم.

«أَحَدَ عَشَرَ»:

فيه: أَنَّ العدد في الرؤيا مِمَّا يُعِين على تفسيرها.

«كُوكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ»:

فيه: أن تمييز النوع (كوكباً) والحجم (وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) يُعين على تفسير الرؤيا.

«سَجِدِينَ»:

فيه: أن شرع من قبلنا ليس شرعاً لنا، وفي المسألة تفصيل.

﴿ قَالَ يَبْنَئُ لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ٥ ﴾ وكذلك يَجْنِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾

فيه: عناية الأنبياء ﷺ بأبنائهم أتمَّ عناية، ومن ذلك التلطف في مناداتهم.

وفيه: فِرَاسَة يعقوب ﷺ في عظيم شأن رؤيا يوسف.

وفيه: فطنة يعقوب عليه السلام في نهي يوسف عن قصّ رؤياه على إخوته. جاء في الحديث: «إذا رأى أحدكم الرؤيا يحبّها فإنما هي من الله، فليحمد الله عليها وليحدّث بها، وإذا رأى غير ذلك ممّا يكره فإنما هي من الشيطان، فليستعذ بالله من شرّها ولا يذكّرّها لأحد فإنها لا تضرّه»^(١).

وفيه: إدراك يعقوب عليه السلام لحال أولاده وعلمه التام بحسد هم ليوسف.

وفيه: حرص يعقوب عليه السلام على عدم حدوث أيّ أمر يؤثّر على اجتماع أهل بيته.

وفيه: أنّ الحسد يكون بين الأقارب كما يكون بين الأبعد.

(١) أخرجه البخاري (٦٦٣٨) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

وفيه: أنَّ عداء الأقارب أشدَّ وأنكى من عداء الأبعد..

وظلمُ ذوي القُربى أشدُّ مضاضةً

على الحرِّ من وَقَع الحُسام المَهْنَدِ

وفيه: أنَّ الحسد يكون في الأمور المعنوية كما يكون في

الأمور الحسّية.

وفيه: أنَّ الحاسد يزيد كيده وحسده كلّما حصل للمحسود

نعمة.

وفيه: أنَّ الأنبياء ﷺ أعظم الناس نصحاء، ومثال ذلك

في هذه الآية من وجوه:

* أنَّ يوسف قصَّ الرؤيا على أبيه فتضمَّن نصحُ أبيه له

رحمةً ومحاذير وبشائر:

أَمَّا الرَّحْمَةُ:

- تحبُّه ورحمته ليوسف بقوله: يا بُنَيَّ.

- نهيه يوسف عن قصّ رؤياه على إخوته.

وأما المحاذير:

- فتحذيره أنّ قصّها سوف يجلبُ كيدًا عليه.

- وتحذيره وتذكيره بعداوة الشيطان للإنسان.

- وتحذيره من الكيد الأصغر وهو كيد إخوته، ومن الكيد

الأكبر وهو كيد الشيطان.

وأما البشائر:

- فاجتباء الله تعالى له.

- وتعليمه من تأويل الأحاديث.

- وإتمام نعمة الله تعالى عليه.

- وإتمام نعمة الله تعالى على آل يعقوب.

وجماع القول في هذا: أنّ من كمال النصيحة ترهيب

المنصوح ممّا يحصل له من النّقم إن وقع في المحذور، وترغيبه فيما

يحصل له من النعم إن هو تجنّب المحذور، وهذا كله قد اجتمع في نصيحة يعقوب ليوسف عليه السلام.

«لَا نَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ» :

فيه: مباحدة كل سبب يزيد صاحب الشرّ شراً.

«فَيَكِيدُوا لَكَ» :

فيه: أنّ إيهام أمر الضرر يزيد المنصوح عنايةً بشأن النصيحة ولزومها.

«كَيْدًا» :

فيه: أنّ تأكيد الضرر يزيد تأكيد الناصح على نصيحته، ويزيد المنصوح حذراً ممّا حذّر منه.

«إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ» :

فيه: أنّ التحذير من العدو الأصغر (إِيْخْوَتِكَ)

- مهما بلغ في كيدهِ وشرِّهِ - لا يُغفل ذلك ولا يهمل أمر العدو الأكبر (إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ).

وفيه: إرجاع الفروع (كيد الإخوة) إلى الأصول (كيد الشيطان) ليُعلم أصل الشيء فينسب له الشرّ إن كان شرّاً: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾، وينسب له الخير إن كان خيراً: ﴿ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ۖ أَشْكُرَ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ [النمل: ٤٠].

«عَدُوٌّ مُّبِينٌ»:

فيه: أنّ معرفة أهل الشرّ وصفاتهم يعين على معرفة من يمشي في ركا بهم.

«كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ»:

فيه: أنّ صلاح الآباء قد يُدرك صلاح الأبناء.

وفيه: تذكير الشخص بصلاح آبائه إذا كان من باب ذكر نعمه عليهم وسلوك مسلكهم، فهذا محمود وهو خلق الأنبياء ﷺ، وأمّا ذكر الآباء من باب التفاخر والتكبر فهذا مذموم.

«إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»:

فيه: أن الله تعالى يُعطي من يشاء بفضله، ويمنع من يشاء بعدله، ولا يظلم ربك أحداً.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ لِّلْمَسَّالِينَ ﴿٧﴾﴾

فيه: شغف النفوس بسماع القصص عن الماضين.

وفيه: أن قصص القرآن ليس المراد منه التسلي وقطع الأوقات بسماعه، بل العبرة من تلك القصص: الاعتبار والاتعاظ بما جاء فيها من الآيات والعبر. ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِّنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ ۚ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود:

[١٢٠].

«وَإِخْوَتِهِ»:

فيه: أن كثرة الذرية من أعمال الأنبياء ﷺ.

وفيه: الرد على دعاة تحديد النسل.

«لِلسَّائِلِينَ»:

فيه: أن جواب السؤال بحسب المصلحة للسائل.

وفيه: أن إجابات الأسئلة المذكورة في القرآن متنوعة:

تارة يأتي الجواب على قدر السؤال؛ مثل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ...﴾

[الأنفال: ١]، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ...﴾ [البقرة: ٢١٧]،

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ أَلْيَتَمَتَّى...﴾ [البقرة: ٢٢٠].

وتارة يكون الجواب بالنهي عن السؤال: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ

أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١]. ومن فقه المسؤول

من أهل العلم أن يُراعي المصلحة الشرعية في جواب السائل .
 وفيه: أنَّ السؤال من أعظم أسباب حصول العلم .
 وفيه: بسط الجواب عن السؤال إذا كانت المصلحة تقتضي ذلك .

﴿ إِذْ قَالُوا لْيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ غُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (٨)

فيه: أنَّ ضرر الحسد يتعدى غير المحسود: ﴿ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (٨)

وفيه: أنَّ كيد الحاسد وشره يزيد إذا كان له قوة: ﴿ وَنَحْنُ غُصْبَةٌ ﴾

وفيه: أنَّ العقوق يكون بالفعل - بتعمد إيذاء يوسف، وفي ذلك أدية ليعقوب عليه السلام - ويكون بالقول: ﴿ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾

مُبِينٍ ﴿١٠﴾

﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَيِّكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿١٠﴾﴾

فيه: أن عداوة الحاسد لا تنتهي إلا بموت المحسود أو غيابه، إلا أن يُمَنَّ الله تعالى على الحاسد بالتوبة: الإقلاع عن حسده.

وفيه: تلبيس الشيطان على الحاسد بتزيين سوء عمله لتبرير جريمته ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَيِّكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾.

وفيه: تحريم الإقدام على المعصية بقصد التوصل إلى طاعة، وفي ذلك تفصيل.

وفيه: أن إيراد النتائج: ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَيِّكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ

بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿١٠﴾ يقوي قبول المقدمات: ﴿١٠﴾ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ
أَطْرَحُوهُ أَرْضًا ﴿١١﴾. وهذا في أمور الشر من أعظم تلبيس إبليس.

﴿١٢﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ
يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٣﴾

فيه: عدم تسمية القائل لأن المراد القول، ولذا ذم بعض
أهل العلم فضول القول والبحث في أمور
لا طائل تحتها ولا فائدة وراءها، كبحث بعضهم عن أسماء
الناس في مثل قوله تعالى: ﴿١٤﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى ﴿١٥﴾
[يس: ٢٠]، ﴿١٦﴾ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ﴿١٧﴾ [القصص: ١٥]،
﴿١٨﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ ﴿١٩﴾ [النمل: ٤٨]. وذم العلماء
للبحث في هذا العمل من أدلته تشدد بني إسرائيل في طلب
أوصاف البقرة.

وفيه: أن من تزوين الشيطان لسوء العمل الانتقال

بأصحابه من سوء أكبر إلى سوء أصغر خشية أن يترك العمل بالكلية.

فيه: أصل لارتكاب أخف الضررين؛ فالضرر الأثقل (القتل) والضرر الأخف (الإلقاء في الحب).

فيه: أن إيراد النتائج (شناعة القتل، ﴿يَلْنَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾) يقوي قبول المقدمات (﴿لَا تَقْنُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهَ فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ﴾). وتقدّمت الإشارة إلى ذلك آنفاً.

«يَلْنَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ»:

فيه: أن من أسباب إبعاد التهمة أن تذكر قرائن تزيد إخفاء تعمّد الجريمة؛ فسقوط غلام في جب لا يتبادر إلى الذهن أنه بفعل فاعل.

وفيه: أن من شدة الظلم المسارعة بإخفاء معالم الجريمة،

فلو ألقى في جبّ ليس على طريق السيّارة فربما يتأخّر التقاطه فيموت فيوجد ولو بعد حين، أو ينكشف الأمر باستغاثته إن كان حيّاً، لكن إذا كان الجبّ على طريق السيّارة فسيُلتقط في أسرع وقت ويذهب مع من التقطه ويُطوى الأمر ولا يروى.

«إِنْ كُنْتُمْ فَعِلِينَ»:

فيه: أنّ من أسباب دفع الفاعل إلى الجريمة ظلمه، وتخفيف ظلمه مخاطبته بتوقع الفعل لا بتحقيقه.

﴿قَالُوا يَتَابَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصِحُونَ



«قَالُوا يَتَابَانَا»:

فيه: أنّ مجيء العصابة مرّة واحدة يحقق مصلحتين:

١ - القوة والتماسك في تنفيذ الأمر فيما بينهم.

٢- رضوخ أو ضعف المقاومة - في ظنهم - من الطرف الآخر.

«لَا تَأْمَنَّا»:

فيه: عظيم مكرهم، وبيان ذلك: أن عدم وصف الرجل بالأمانة دليل على تهمته، ولذا أخرجوا أباهم بأنه يتهمهم بعدم الأمانة.

«عَلَى يُوسُفَ»:

فيه: أن يوسف عليه السلام تعرّض لأشدّ أنواع الحسد، إذ لو كان الحسد من واحد من إخوته أو اثنين لكان أهون من حسد ثلاثة، فكيف إذا حسده جميعهم وهم عشرة ولم يبق إلا شقيقه؟

«وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُونَ»:

فيه: أن النصح من أنفع الأشياء للصغار، ولذلك ذكره

لأبيهم حتى يثق بهم فيرسله معهم.

وفيه: أن الناصح أمين، ولذا لما ذكروا عدم ثقة أبيهم بأمانتهم أعقبوا ذلك بأنهم سيكونون ناصحين ليوسف.

﴿أَرْسَلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١٢)

«أَرْسَلْهُ مَعَنَا غَدًا»:

فيه: عناية يعقوب بيوسف وحرصه عليه - وليس في هذا ظلم للآخرين - لعلمه بسوء قصد إخوته، ولذا علموا أنهم لن يتمكنوا من أخذه إلا بإذن والدهم فطلبوا من أبيهم إرساله معهم.

«يَرْتَع وَيَلْعَبُ»:

فيه: الترويح عن النفوس.

«وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»:

فيه: أَنَّ من شدّة المكر التظاهر والحرص على نقيض قصدهم، بل والحرص على ذكر ما يريده الطرف الآخر لإزالة خوف الطرف الآخر بل وإدخال الأمن إلى قلبه؛ ولذا أجمعوا القول لأبيهم بتحقيق المصلحة القولية ليوسف: « وَإِنَّا لَهُ لَنَصِحُونَ »، وبتحقيق المصلحة الفعلية له أيضًا: « وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ».

وفيه: عدم الثقة بكل من أظهر الصلاح وبخاصة إذا احتفت به القرائن المريبة.

﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ، وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾ (١٣)

«لَيَحْزُنُنِي»:

فيه: أَنَّ ذكر توقّع المحذور «لَيَحْزُنُنِي» يزيد المؤمن حرصًا

على الأمانة.

«وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ»:

فيه: عظيم أدب يعقوب والتماس العذر مُقَدِّمًا.

وفيه: أَنَّ اتِّخَاذَ الأسباب لا يقدر في الإيمان، ولذا أرشد يعقوب أولاده إلى اتِّخَاذِ الأسباب لحفظ يوسف.

وفيه: أَنَّ من تمام مسؤولية الآباء عن الأبناء مراعاة أحوالهم بحسب أعمارهم وغيرها؛ فلصغر سنِّ يوسف بيّن لهم يعقوب سبب خوفه عليه.

وفيه: عناية يعقوب بمسؤولية أولاده رغم كثرتهم، وهذا من عظيم عناية الأنبياء ﷺ بأمر بيوتهم.

وفيه: الرَّد على من زعم أَنَّ كثرة الأولاد تتنافى مع القيام بالمسؤولية.

وفيه: أَنَّ من كمال تربية الأولاد الجمع بين إصلاح قلوبهم

والترويح عن أبدانهم، وهذا مسلك الأنبياء ﷺ؛ فيعقوب ﷺ - مع سعيه في تربية أولاده على لزوم سبيل الحق - لم يغفل عن جانب الترويح عن أولاده، بل كان يأذن لهم، ومن ذلك إذنه بذهابهم لما استأذنوه: ﴿أَرْسَلُهُ مَعَاغِدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ﴾.

وفيه: تحذير الأب لأولاده مما يخشى ضرره عند ترويحهم عن أنفسهم؛ فيعقوب ﷺ حذر أولاده من الذئب، فعلى الوالد أن يحذر أولاده مما قد يضرهم عند بعدهم عنه.

﴿قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الذَّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَسِرُونَ﴾ (١٤).

فيه: أن إعطاء الضمانات للمؤمنين يزيده طمأنينة على حفظ أمانته من جهة المؤمن لو كان المؤمن صادقًا، وأبناء يعقوب ﷺ هنا - لعظيم كيدهم وقوة عزمهم على تنفيذ جريمتهم - أعطوا أباهم ضمانات كثيرة مؤكدة منها:

أولاً: أَنَّ كلمة الجميع كانت واحدة « قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ
الذِّئْبُ .. »، فلو قال بعضهم فقد يبقى الشك في الآخرين.
ثانياً: خَصُّوا الذئب بالذكر لأنَّ أباهم يعقوب ذكره دون
غيره.

ثالثاً: ذَكَرُوا أباهم بأنهم جماعة «عصبة» فلو غفل واحد لم
يغفل الباقون، ولو غفل كثيرٌ منهم فسيبقى آخرون متيقظون.
رابعاً: شهادتهم على أنفسهم بالخسارة، ومن المعلوم أنَّ
المؤمن إذا انتقص نفسه في حال ضياع الأمانة فإن ذلك مما يزيد
المؤمن ثقةً فيه؛ لأنَّ المرء لا يرضى لنفسه بالدون لو كان واحداً،
فكيف إذا كانوا جماعة؟ «وَنَحْنُ عُصْبَةٌ».
وفيه: أنَّ الاجتماع من أسباب القوة.

﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُفْعَلُوا فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ وَأَوْحَيْنَا

إِلَيْهِ لَتُنِتْنَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾

فيه: أن واو الجماعة في « ذَهَبُوا » « وَأَجْمَعُوا » « يَجْعَلُوهُ » تدلّ على أن الرّاضي كالفاعل، إذ من المعلوم أن الذي باشر جعله في غيابة الحبّ بعضهم دون كلّهم، ومما يؤكد أن الجميع سواء هو بقية الضمائر في « لَتُنِتْنَهُمْ » « بِأَمْرِهِمْ » « وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ».

« وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ »:

فيه: أن الإخبار بالمصاب قبل حدوثه يعين على الثبات والتحمّل والصبر.

وقد يقال: فيه: الرّدّ على من قال: إنّ النبوّة لا تكون إلّا بعد الأربعين من العمر.

﴿ وَجَاءَ وَآبَاهُمْ عِشَاءَ يَبْكُونَ ﴾ ﴿١٦﴾

« وَجَاءَ »:

فيه: تأكيد لما سبق من اتفاق كلمتهم ومكرهم وكيدهم
بجعل التهمة ضعيفة في حق أحد دون الآخر.

«عِشَاءً»:

فيه: أن الليل ليس وقتاً للترويح، بل هو سكن ولباس،
ولذا كان ذهابهم للرّبع واللعب نهاراً.

«يَبْكُونَ»:

فيه: أن التأثير الفعلي - ولو تصنعاً - من المتكلم أبلغ في
التأثير على السّامع.

﴿قَالُوا يَبَابَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِ وَيَتْرَكُنَا يَوْسَفَ عِنْدَ
مَتْعِنَا فَاكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا
صَادِقِينَ﴾ (١٧)

فيه: التماس أقوى القرائن الفعلية لإبعاد التهمة، ولذا

نصُّوا على ذكر الذنب دون غيره؛ لأنَّ أباهم حذَّره من ذلك،
ومن مرادفات تلك القرينة قولهم: «ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا
يُوسُفَ».

«عِنْدَ مَتْلَعِنَا»:

فيه: اتَّخَذَ الأسباب عند الخروج من البلد، والرَّد على من
زعم أنَّ اتَّخَذَ الأسباب في السَّفر أو غيره ينافي التوكُّل.

«وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ»:

فيه: أنَّ من معاني الإيمان التصديق واليقين.

وفيه: التماس أقوى القرائن القولية لإبعاد التهمة؛ فقد
أَقْرَبُوا بأنَّ أباهم لن يصدِّقهم، وهذا مع سابقه
- من القرائن الفعلية - يدلُّ على قوة ذكائهم وضعف زكائهم -
في أثناء خداعهم لأبيهم -.

﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (١٨)
«وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ»:

فيه: أَنَّ الظالم المخادع يتظاهر بالصدق، وقد يفضح نفسه بمخادعته؛ ذلك أَنَّ إخوة يوسف أحضروا قميصه ملطخاً بالدم دون أثر التمزق!

«قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا»:
فيه: ذكاء يعقوب عليه السلام وفراسته وإشعاره لهم بأن عملهم مقصود.

«فَصَبْرٌ جَمِيلٌ»:
فيه: عظيم أخلاق الأنبياء عليهم السلام، وأن صبرهم أكمل الصبر باطنًا وظاهرًا.
«وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ»:

فيه: عظيم إيمان الأنبياء ﷺ وتفويض أمورهم إلى الله ﷻ،
وأنَّ أحوج ما يكون إليه العبد عون الله تعالى.
«عَلَى مَا تَصِفُونَ»:

فيه: عظيم ورع الأنبياء ﷺ؛ ذلك أنَّ يعقوب ﷺ وكل
سرائرهم إلى الله تعالى مع علمه بسوء صنيعهم من خلال قرائن
أحوالهم.